

128148 - الأصل في البشرية هو التوحيد والشرك أمر طارئ

السؤال

بحثت في كتب المتخصصين في علم الأديان ، فوجدتهم يقولون : إن الوثنيين لا يؤمنون في الأصل بعدة آلهة، يؤمنون بإله واحد لكن هذا الإله حل في موجودات أخرى ، فأصبحت تلك الموجودات بذلك (ألوهية) ؛ أي يتصفون بصفة الألوهية ، لأن الإله الواحد ظهر فيهم ؛ (الصالحين من الناس و أجزاء من الطبيعة المادية و اللامادية). سؤالي هو: هل يمكن أن هذه في الأصل أديان توحيدية فتم تحريفها كما حدث للنصرانية ؟

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

الأصل في البشرية هو التوحيد والهداية والاتباع ، والانحراف عن ذلك أمر طارئ وليس أصيلاً في فطرة البشر وطبيعتهم ، فقد كان آدم أبو البشر عليه السلام نبياً مؤمناً موحداً وكذلك أبناؤه ، ثم حدث الشرك في قوم نوح بعد عشرة قرون ، كما قال تعالى : (كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ) البقرة/213

قال ابن عباس في تفسيرها : " كان بين نوح وآدم عشرة قرون، كلهم على شريعة من الحق. فاختلّفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين " .

وقال ابن كثير رحمه الله بعد نقله عن ابن عباس وتصحيحه : " لأن الناس كانوا على ملة آدم، عليه السلام ، حتى عبدوا الأصنام ، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام ، فكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض " انتهى من "تفسير ابن كثير" (1/569).

وروى مسلم (2865) عَنْ عِيَّاضِ بْنِ جِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا : كُلُّ مَا لَحَلَّتْهُ عِبْدًا حَلَالٌ ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمْ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَحَرَمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتْ لَهُمْ وَأَمَرْتَهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا) .

وأكثر من أشرك وعبد الآلهة مع الله إنما عبدها على اعتقاد أنها تقرب وتشفع عند الله تعالى ، لا على أنها شاركته في الخلق أو الرزق ، كما قال تعالى : (وَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ . وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا) يونس/18، 19

وقال سبحانه : (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) الزمر/3

ومنهم من عبد الآلهة على أنها صور للصالحين أو الملائكة ، أو أن الله يحل فيها كما ذكرت ، ولم يثبت عن أحد من القدماء إثبات ربين متساويين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إثبات ربين للعالم لم يذهب إليه أحد من بني آدم ، ولا أثبت أحد إلهين متمثلين ولا متساويين في الصفات ولا في الأفعال ، ولا أثبت أحد قديمين متمثلين ولا واجبي الوجود متمثلين ، ولكن الإشراك الذي وقع في العالم إنما وقع بجعل بعض المخلوقات مخلوقة لغير الله في الإلهية ، بعبادة غير الله تعالى واتخاذ الوسائط ودعائها والتقرب إليها ، كما فعل عباد الشمس والقمر والكواكب والأوثان وعباد الأنبياء والملائكة أو تماثيلهم ونحو ذلك ، فأما إثبات خالقين للعالم متمثلين فلم يذهب إليه أحد من الأدميين ، وقد قال تعالى : (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله) لقمان/25 ، وقال تعالى : (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون . قل من رب السماوات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون . قل من بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل فأنى تسحرون) المؤمنون/84 – 89 وقال : (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) يوسف/106 " انتهى من " درء تعارض العقل والنقل " (5/156).

والحاصل أن الأصل في الناس هو التوحيد والإسلام ، والشرك أمر طارئ ، وليس هناك أديان توحيدية ، وإنما هو دين واحد ارتضاه الله عز وجل وهو الإسلام ، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم .

وينظر : سؤال رقم (116826) ورقم (101366) .

والله أعلم .